إشارات عن الترابط الديني بين مصر وسورية الكبرى في القصص المصري القديم

د/ عيد عبد العزيز
كلية الآداب بقنا ـ جامعة جنوب الوادي

لا شك أنه كانت هناك صلات دائمة بين مصر وجيرانها ، لعل من أهمها تلك التي كانت بينها وبين سورية[١] . وبطبيعة الحال نتج عن هذه الصلات تأثير وتأثر وأخذ وعطاء بين الحضارتين ؛ فلقد قامت بين البلدين ومنذ قديم الزمان [٢] صلات وثيقة في مختلف النواحي الحضارية ، في السياسة ، والأدب ، والفن ، واللغة ، والعمارة ، والتجارة ...إلخ [٣] .

تعتبر الصلات الدينية من أهم الصلات التي كانت موجودة بين مصر وسورية ؛ فقد وجدت المعبودات المصرية في سورية وشيدت لها المعابد هناك ، وكذلك دخلت المعبودات السورية مصر ، وعرفت فيها وكان لها أيضا معابدها على أرض مصر ، بل وتمت المساواة بين بعضها البعض ؛ وذلك نظرًا لتداخل صفاتها معًا [٤] .

ليس من شأن هذا البحث دراسة العلاقات المصرية السورية والتي قامت بينهما،وظلت على مر العصور ؛ فهي معروفة وقائمة من خلال تلك الآثار التي عُثر عليها هنا وهناك ، أو دراسة المعبودات المصرية السورية ، والعلاقة بينها ؛ فهي أيضًا ظاهرة جلية[٥] .

إن الهدف الأساسي من هذا البحث هو محاولة إظهار ذلك الترابط الديني القائم بين مصر وسورية الكبرى ، وذلك من خلال ثنايا القصص المصري القديم ، ومدى التشابه بينه وبين القصص السوري في بعض الموضوعات ؛ وكذلك احتوائه على ذكر لمعبودات سورية ارتبطت بأخرى مصرية ، وأيضا مدى الارتباط بين المعبودات المصرية والأراضي السورية .

---

[١] استخدم اصطلاح سورية منذ العصر اليوناني ، وكان يقصد به سورية الكبرى ، أو سورية بحدودها القديمة ؛أي تلك المنطقة التي تشمل سورية اليوم ولبنان وفلسطين والأردن ، وقد ظلت حدود سورية هذه في العصور العربية الإسلامية عند الجغرافيين العرب إلى نهاية العصر العثماني ، غير أنها كانت تعرف عند العرب باسم بلاد الشام منذ القديم . راجع : أحمد ارحيم هبو ، تاريخ الشرق القديم ، (١) سورية ، صنعاء ١٩٩٣ ، ص ١٠ ؛ نجيب ميخائيل ، الشرق الأدنى القديم ، سورية ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٧ .

[٢] ربما منذ عصور ما قبل الأسرات ، راجع : حسني عبد الحليم عمار ، مصر وبلاد الشام حتى نهاية العصر العتيق ، دراسة مقارنة للتأثيرات الحضارية المتبادلة ، (رسالة ماجستير غير منشورة) ، جامعة القاهرة ١٩٩٩.

[3] W. Helck, Die Beziehungen Ägyptens zu Vorderasien im. Und 2. Jahrtausend v. Chr., Wiesbaden 1962, 539 ff.; id. , in : LÄ III , 865 ff.

[4] R. Stadelmann , Syrisch-Palästinensische Gottheiten in Ägypten , PÄ 5 , Leiden 1967 ; id., in : LÄ II , 630 ff . ; W. Helck , Beziehungen , 482 ff. ; id. , In: OrAnt 5 , 1966 , 1ff.

[٥] انظر على سبيل المثال R. Stadelmann , Syrisch _ Palästinensische Gottheiten ; id. , in : LÄ II , 630 ff. ; W. Helck , Beziehungen , 482 ff. ; id. ,in : LÄ II , 643 ;id. in : LÄ III , 865 ff.;
-ج. كونتنو ، الحضارة الفينيقية ، مترجم بالقاهرة (الألف كتاب الثاني ٢٦٣) ، القاهرة (١٩٩٧) ، ص١٦ ؛ سبتينو موسكاتي ، الحضارات السامية القديمة ، مترجم ببيروت (١٩٨٦) ، ص ١٢٦.

أولا : تشابه الموضوع في الأسطورة المصرية والسورية

١- أسطورة أوزيريس وإيزيس :

لقد كره ست أن يؤول عرش مصر إلى أخيه أوزيريس ؛ فحقد عليه ، ودار صراع بينهما ، ودبر ست مؤامرة لقتل أخيه ، وطبقًا لرواية " بلوتارخ " ؛ فقد صنع ست صندوقًا رائعًا بحجم أوزيريس تمامًا ، ثم أقام حفلة دعا إليها المدعوين وعرض التابوت عليهم ؛ ليهديه لمن يناسبه تمامًا ، فلم يوافق الصندوق أحدًا إلا أوزيريس ، وعندما رقد فيه ، أسرع ست وأتباعه المتآمرون معه إلى غلقه ، ثم ألقوه في النيل ، وظل عائمًا حتى بلغ البحر الأخضر (البحر المتوسط) . وتذهب بعض الروايات إلى أن الصندوق قد حمله التيار حتى جنح إلى شاطئ جبيل (في لبنان) ؛ حيث احتوته إحدى الأشجار في داخلها ، ولكن ملك جبيل أعجب بفخامة هذه الشجرة واتخذ من جذعها الذي يضم الصندوق عمودًا يدعم سقف قصره.

لقد علمت إيزيس بذلك ، فسافرت إلى جبيل وجلست تبكي بجوار نبع ماء ، لا تكلم أحدًا ولا تلاطف إلا خادمات الملكة اللاتي كن يأتين إلى هذا النبع ليملئن جرارهن ، فأخذت إيزيس تسرح لهن شعورهن ، وكانت تعطره بالطيب . وتمكنت إيزيس في النهاية من نزع العمود من تحت السقف ، وأخرجت الصندوق من باطن الشجرة ، ولفت الشجرة بالكتان وغطتها بالدهون ، ولا تزال تعرض حتى اليوم في معبد جبيل على أنها " خشب إيزيس " [٦] .

إن ذكر جبيل وشاطئها في هذه الأسطورة ، ووصول التابوت إليها ، واحتواء شجرة من أشجارها له ، ثم بعد ذلك ذهاب إيزيس وراءه وتمكنها من إعادته ، وارتباط الشجرة بإيزيس ؛ ليدل على مدى أهمية منطقة جبيل في الفكر الديني المصري.

ومن ناحية أخرى ؛ فقد تركت هذه الأسطورة تأثيرها على الفكر الديني السوري،فجاءت الأسطورة الأوجاريتية - "بعل وعنات" - مشابهة لها في بعض جوانبها ؛ وذلك من حيث قتل ست لأخيه أوزيريس ، ثم إحياء أوزيريس عن طريق أخته إيزيس ، وبعد ذلك نزوله العالم السفلي يحكمه ، ثم انتقام حورس لمقتل أبيه أوزيريس ، ففي الأسطورة الأوجاريتية "بعل وعنات" ، قتل بطلها بعل مثلما قتل أوزيريس بطل الأسطورة المصرية ، وإن كانت طريقتا القتل والانتقام مختلفتين ، فبينما قتل ست أوزيريس ، نجد أن الإله موت (وهو ابن إيل ، ورب العالم السفلي ورب الجفاف والقحط)[٧] يوقع بعلا في الفخ الذي نصبه له أعداؤه ؛ فسقط فيه واختفى عن مسرح الدنيا ونزل العالم السفلي ، وبينما انتقم حورس لمقتل أبيه ، نجد أن عنات هي التي انتقمت لمقتل بعل ، فعلى الرغم من أنها كانت ربة للحب والخصب ، كانت في الوقت نفسه ربة للحرب والدمار ، فبعدما دار الصراع بين بعل وموت ، وانتصر موت في البداية هرعت إليه ترجوه إعادة بعل إلى الحياة ، ولكن لما طال انتظارها ثارت ثائرتها وقررت اللجوء إلى العنف ، فصارعته وقتلته وقطعته إربا بواسطة المنجل ثم نخلته وأحرقته وربطته ونثرت بقاياه في الحقول [٨] .

[٦] أدولف ارمان ، ديانة مصر القديمة ، مترجم بالقاهرة (١٩٩٧) ، ص ٩٨ -٩٩ .
[٧] أحمد ارحيم هبو ، المرجع السابق ، ص٢٣٤ .
[٨] سلوى أحمد كامل ، الإلهة عنات ، (رسالة ماجستير غير منشورة) ، جامعة القاهرة ١٩٩٥ ، ص٧٤

٢- أسطورة هلاك البشرية وإنقاذها :

بعد أن أصبح رع كهلا ، وتقدمت به السن تآمر عليه العصاة من بني البشر ، فأشار عليه أتباعه بأن يرسل عليهم عينه ، فتشكلت العين تفنوت في هيئة الربة حتحور ، وفتكت بالعصاة ، وشربت من دمائهم ، وبدأت تأخذ الأبرياء مع العصاة ، وأوشكت أن تفني البشر أجمعين ، فعز على الإله رع ذلك ، فطلب من أتباعه أن يجهزوا سبعة آلاف إناء من الجعة وأن يحضروا مسحوقا أحمر هو أكسيد الحديد ، وأوصاهم أن يخلطوا هذا المسحوق بالجعة ، وسكبوه ، فشربت منه حتحور حتى خدرت وتراخت عن التمادي في القتل ، وأنجى الناس من بطشها [٩].

إن موضوع هذه الأسطورة يشبه إلى حد ما موضوع الأسطورة السورية " مذبحة عنات لسكان شاطئ البحيرة "[١٠] ، فقد أمرت الربة عنات عددا من الخدم على القيام بخدمة بعل وتبجيله ، ووضع الرجال والنساء الذين أمرتهم عنات لخدمة بعل ، ولكن حماس المتعبدين قل ، فأهملت طقوس بعل وكذلك طقوس عنات [١١] ، فغضبت عنات وأخذت تضرب في كل اتجاه ، تقاتل بعنف ، ذبحت المدن ، أبادت سكان شاطئ البحيرة في الغرب ، إلا أن رسالة من بعل قد وصلت إلى عنات يطلب منها أن تكف عن مسك عصاها وعن سفك الدماء[١٢].

من الملاحظ هنا أن عنات قد لعبت دورا مشابها للدورالذي لعبته حتحور في الأسطورة المصرية ، وكذلك التشابه بين موقف رع وبعل في الحرص على عدم فناء البشر.

٣- أسطورة عشتارت :

كتبت هذه الأسطورة على بردية في أواخر عصر الأسرة الثامنة عشرة - ربما فى عهد الملك حور محب - ولكن لسوء الحظ ، فإن هذه البردية مهشمة جدا ، وما تبقى منها لا يؤدي معنى كاملا . لقد أطلق على هذه البردية اسم بردية عشتارت ؛ وذلك نظرًا لتكرار اسم عشتارت في الأجزاء الباقية [١٣] ، وإن كان هناك من يسميها أسطورة إله البحر حيث إن عشتارت ليست الشخصية الرئيسية فيها ، ولكن هو إله البحر " بايم " حيث تتكرر جزية إله البحر مرات كثيرة [١٤]. وتحكي هذه الأسطورة عن إله البحر الذي يحاول فرض سيطرته على المعبودات الأخرى وأن يجبرهم على دفع جزية له ، "جزية إله البحر " ؛ حيث كان المصريون القدماء يعتبرون البحر

[٩] عبد العزيز صالح ، الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول ، مصر والعراق ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٨٢ ، ص٣٤٩ .

[10] Ch. Virlleaud , in : Syria 17 , 1936 , 150 ff.

[11] Ch. Virolleaud , in : MRS 4 , 1938 , 2 .

[١٢] سلوى أحمد كامل ، المرجع السابق ، ص ٧٨- ٧٩ .

[13] R. Stadelmann , op. cit. ,125 ff. ; id. , in : LÄ I , 509 ff. ; E. F. Wente , in : W. K. Simpson , The Literature of Ancient Egypt, New Haven-London 1977 , 133 ff. ; A. Erman , Die Literatur der Ägypter , Leipzig 1923, 218-220 .

[١٤] جوستاف لوفيفر ، روايات وقصص مصرية من العصر الفرعوني ، مترجم بالقاهرة ، (الألف كتاب " ٦٦ ") ، ص ١٧٠ .

"ym" معبودا جشعا [١٥] . لقد عاش مجمع الأرباب في رعب منه ؛ ولذلك فقد اقترحت الربة رننوتت ربة الحصاد أن يستغيثوا بالربة عشتارت ، فيطلب الأرباب استدعاء الربة عشتارت ابنة بتاح ، الربة الباطشة ؛ لتذهب إليه لكي تهدأ من روعه ، وعندما تذهب إليه يقع في حبها ويطلب يدها من بتاح ومن مجمع الأرباب على أن يترك باقي الأرباب في أمان ، إلا أنه يخلف وعده ويزيد من مطالبه ، فيطلب حلي الربة نوت وخاتم الرب جب ؛ أي ليس أقل من حكم الأرض ، وإلا فإنه سوف يغرق الجبال والأرض بالفيضان . أما نهاية القصة ، فهي مهشمة جدا.

عن ماهية إله البحر هذا الذي تكرر في هذه القصة ، يذكر لوفيفر أنه غريب عن مصر ، وأنه قد أتى إليها من آسيا ، فهو فينيقي دخل مصر مع بعض المعبودات الأخرى ، مثل عشتارت وعنات ورشف[١٦] .

كما أن موضوع هذه الأسطورة مشابه لواحدة من الأساطير الكنعانية المعروفة لنا من أوجاريت والتي ظهر فيها صراع بعل مع البحر[١٧] ، حتى أن البعض يعتبرها إعادة أو حتى ترجمة للأسطورة الأوجاريتية [١٨] . فالإله بعل رب المطر والصواعق والسحاب الكنعاني يبدأ صراعه مع قوى الشر بالهجوم على إله البحر " يم " ـ (ابن أبي الآلهة إيل) ـ والذي كان يسعى إلى السيطرة على بعل وأن يطغى على اليابسة،ويستطيع بعل في النهاية أن ينتصر عليه ويخضعه لسيطرته وأن يحدد إقامته ضمن البحر وأن يحد من طغيانه على اليابسة [١٩] .

هكذا يظهر الترابط الديني في هذه القصة ؛ فإله البحر الفينيقي يحاول فرض سلطته على الأرباب المصريين ، وهم يستدعون ربة من وطنه لتتعامل معه ، والتي تظهرها القصة في نفس الوقت ابنة للرب المصري بتاح . إن المعبود بتاح هو رب مدينة منف ، وقد ظهرت عشتارت هنا ابنة له ؛ ولذلك فلا غرابة أن نجدها في عصر الأسرة الثامنة عشرة تعبد في منف وأن يكون لها كهنة هناك [٢٠] . لقد كان من صفات عشتارت أنها ربة للأمومة والخصب والربة الأم[٢١] ؛ ولذلك فربما قامت بهذا الدور بصفتها الربة الأم . ومن ناحية أخرى يدل هذا الاختلاط على أن الكتاب المصريين كانوا على علم ودراية بالأدب السوري[٢٢] .

ثانيا : علاقة الأرباب المصريين بالأرباب السوريين والمنطقة السورية

١ـ أسطورة المخاصمة بين حورس وست :[٢٣]

[١٥] بيير مونتييه ، الحياة اليومية في مصر في عهد الرعامسة ، مترجم بالقاهرة (١٩٦٥) ، ص ٢٤١ .

[١٦] جوستاف لوفيفر ، المرجع السابق ، ص ١٧٣ ـ ١٧٤.

[17] E. Brunner_Traut , in : LÄ III , 1124 ff. ; R. Stadelmann , Syrisch_Palästinensische Gottheiten , 125 ff. ; W. Helck , Beziehungen , 539 f.

[18] W. Helck , in : OrAnt 5 , 1966 , 10 ; id, Beziehungen , 491.

[١٩] أحمد ارحيم هبو ، المرجع السابق ، ص٢٣٣ـ٢٣٤ .

[٢٠] انظر عن صفاتها الأخرى : أسطورة المخاصمة بين حورس وست .

[٢١] ج كونتنيو ، المرجع السابق ص ١٣٩ ؛ سبتينو موسكاتي ، المرجع السابق ، ص ١٠١.

[22] W. Helck , Beziehungen , 539

[٢٣] راجع عن هذه الأسطورة : سليم حسن ، الأدب المصري القديم ، الجزء الأول ، القاهرة (١٩٩٠) ، ص١٣٧ ـ ١٧٠ ؛ أحمد فخري ، الأدب المصري ، مجلد تاريخ الحضارة ، المجلد الأول ، ص ٣٧٨ ـ ٣٨٢ ؛ أدولف ارمان ، المرجع السابق ، ص٨٩ ـ ١٠١ ؛ . E. Wente, op. cit., 108 ff.

لقد كان موضوع قضية المخاصمة أو النزاع بين حورس وست هو عرش مصر،والذي يطالب به حورس وأمه إيزيس استنادًا إلى القانون ، ويطالب به ست اعتمادا على قوته وسطوته . لقد انعقدت محكمة الأرباب العليا برئاسة رع حور أختي رب هليوبوليس ؛ وذلك للبت في هذا الخلاف ، إلا أن أعضاء المحكمة انقسموا فريقين ، فريق يؤيد حورس والآخر يرى أن ست أحق بالملك من ابن أخيه،واقترح بعض الأعضاء أن يستشيروا في ذلك الخلاف الربة نيت ربة صا الحجر. وأمر أعضاء التاسوع أن يكتب تحوت خطابًا إلى نيت العظيمة أم الإله ، على أن ينفذ بعد ذلك ما تشير به ، وأرسلت نيت المعبودة العظيمة أم الإله خطابًا إلى التاسوع تقول فيه " أعطوا منصب أوزيريس لولده حورس ، ولا تقترفوا تلك الأفعال الذميمة التي ليست في محلها ، وإلا فإني سأغضب وستسقط السماء على الأرض ، وقولوا لرب الجميع الثور الذي في عين شمس : " ضاعف أملاك ست وأعطه ابنتيك عنات وعشتارت وأجلس حورس مكان والده أوزيريس ".

هكذا كان الارتباط الديني في هذه القصة جليا ؛ حيث ظهرت الربتان السوريتان هنا ابنتين لرع وتوصيه الربة نيت أن يعطيهما لست ، أي كزوجتين .

إن الربة عنات هي معبودة أوجاريتية ، وصلت عبادتها مصر مع نهاية الدولة الوسطى ضمن أسماء بعض الخدم الأسيويين ، وكذلك مع دخول الهكسوس مصر[٢٤]،إلا أن عبادتها شاعت في عصر الأسرتين : التاسعة عشرة والعشرين خاصة في منطقة شرق الدلتا حيث كانت تعبد في تانيس وكان لها معبد خاص ، وارتبطت هناك بالمعبود المصري ست ؛ ولذلك فقد كان لها علاقة به [٢٥] ، وهو ما وضحته هذه الأسطورة ؛ حيث اعتبرت كزوجة له . لقد عبدت كذلك في منف وكان لها معبد أو مقصورة في رحاب معبد بتاح ، وعبدت كذلك في دير المدينة وفي الفانتين[٢٦]. وكذلك ظهرت عنات في دور حتحور وكانت تسمى سيدة السماء وأم كل الآلهة [٢٧] ، وكانت تمثل أيضا بهيئة البقرة مثل حتحور ، وكانت مرضعة ؛ فكان لها نفس مهام حتحور ، وقد أطلق رمسيس الثاني عليها لقب " مرضعة الآلهة " ، وذكرت على لوح زواجه بأنها التي أرضعته [٢٨] . كما اشتهرت عنات كذلك بصفاتها الحربية في عصر الرعامسة ؛ حيث كانت ربة للحرب [٢٩] ، وقد ظهرت بصفة خاصة في عهد الملك رمسيس الثاني كربة للحرب على الهيئة التي تظهر فيها في نصوص رأس الشمرا [٣٠] . وكانت عنات كذلك ربة للخصب والأمومة ؛ ولذلك فكانت تظهر في بعض الأماكن في كنعان وعلى رأسها ما يمثل رأس حتحور ، الربة المصرية برأس بقرة[٣١]. وأخيرا

---

[٢٤] سلوى أحمد كامل ، المرجع السابق ، ص ٥ ؛ أحمدارحيم هبو ، المرجع السابق ، ص ٢٤٦ ; G. Hart , A Dictionary of Egyptian Gods and Goddesses , New York 1987 , 17 .

[٢٥] أحمد ارحيم هبو ، المرجع السابق ، ص٢٤٦ ؛ H. Bonnet , RÄRG , 37 ff.

[٢٦] سلوى أحمد كامل ، المرجع السابق ، ص ٥ ، ٤٧ ، ٤٨ ؛ A.I. Sadek , Popular religion in Egypt during the New Kingdom , Hildesheim 1987 , 158 .

[٢٧] G. Hart , op. cit. , 17 . ؛ سلوى أحمد كامل ، المرجع السابق ، ص٧ .

[٢٨] المرجع السابق ، ص٤٣ ، ٦٢ ؛ Ch . Kuentz , in : ASAE 25 , 1925 , 182

[٢٩] نجيب ميخائيل ، المرجع السابق ، ص ٦٩ ؛ سبتينو موسكاتي ، المرجع السابق ، ص ١٢٨.

[٣٠] نجيب ميخائيل ، المرجع السابق ، ص٦٩ .

[٣١] المرجع السابق ، ص ٦٩ ؛ ج . كونتنو ، المرجع السابق ، ص٢٤٦ ؛ سلوى أحمد كامل ، المرجع السابق ، ص٦٧ .

، فقد سمى سيتي الأول عربة القتال الخاصة به باسمها ، ثم اعتبرها رمسيس الثاني أمه ؛ فقد رضع منها[٣٢]، وكذلك فقد سمى إحدى بناته "بنت عنات"[٣٣].

أما الربة عشتارت الفينيقية ، فقد عرفت عبادتها في مصر في عصر الدولة الوسطى[٣٤] ، وقد ظهرت في برديتها السابقة ابنة للمعبود بتاح ؛ ولذلك عرفت في منف ، فكانت ربة للملاحة في مواني منف ؛ وكان لها كهنة هناك منذ نهايات الأسرة الثامنة عشرة [٣٥]. وكانت كذلك ربة الأمومة والخصب والربة الأم ، وكانت ربة الحرب وسيدة الخيول والعربات[٣٦] . ومن ناحية أخرى كانت عشتارت هي ربة جبيل ، وقد عبدت الربة المصرية حتحور هناك ، ونظرا لاشتراكها مع عشتارت في صفاتها فقد أطلق عليها كذلك " حتحور ربة جبيل "[٣٧] . بل إن الإغريق والذين أطلقوا على حتحور اسم أفروديت [٣٨] ، أطلقوا على عشتارت والتي عبدت في منف اسم أفروديت الأجنبية [٣٩] .

أثناء عصر الدولة الحديثة كانت عنات مصاحبة لعشتارت ، وكانتا متماثلتين وكثيرا ما يختلطا في غياب الاسم [٤٠] ، وقد اتخذهما الملك رمسيس الثالث كدرع له في معبد هابو ، وكانتا حاميتين لعربته الحربية[٤١] . وكما رأينا من قبل كانت الاثنتان بنات لرع وفي الوقت نفسه زوجات لست[٤٢].

---

٣٢ المرجع السابق ، ص ٧ .

٣٣ ج . كونتنو ، المرجع السابق ، ص ٢٤٦ .

٣٤ رضا سيد أحمد ، المرجع السابق ، ص ٣٥٠ .

35 H. te Velde , in : LÄ III , 867 ff . ; W. Helck , Beziehungen , 410 ; id., in : OrAnt 5 , 1966 , 2 .

36 W. Helck , op. cit. , 490 ff. ; H. Bonnet , op. cit. , 55 ff . .

37 S. Allam , Beiträge zum Hathorkult (bis zum Ende des Mittleren Reiches) , MÄS 4, 1963 , 132 ; R. Stadelmann , in : LÄ II , 630

38 W. Helck , in : LÄ I , 337 .

٣٩ هيروديت يتحدث عن مصر ، ١١٢ ؛ ج كونتنو ، المرجع السابق ، ص١٣٩ ؛ H. Bonnet , op. cit. , 55 ff.

40 J. Leclant , in : LÄ I , 1975 , 502

٤١ سلوى أحمد كامل ، المرجع السابق ، ص٨٨ ؛ W. Helck , Beziehungen , 490

٤٢ انظر أعلى : أسطورة الصراع بين حور وست .

٢- قصَّة سنوهي :[٤٣]

بعدما سمع سنوهي عن نبأ وفاة الملك أمنمحات الأول ، فرَّ هاربًا متنقلا من بلد إلى آخر ، أو على حد قوله " أسلمتني أرض إلى أرض ، ويستقر به الحال في النهاية في " رتنو العليا " ؛ حيث أخذه أميرها " عامو ننشي " إلى عائلته ، ويدور بينهما حوار " حينئذ سألني " كيف يكون حال تلك البلاد بدونه ، ذلك الرب المحسن ، والذي كان مهابا في البلاد الأجنبية مثل سخمت في عام وباء ؟ "

يذكر أمير رتنو العليا أن بأس الملك المصري كان في البلاد الأجنبية مثل الربة سخمت في سنة الطاعون [٤٤]. وبسبب صفاتها (معبودة للحرب والشفاء) ، ارتبطت سخمت مع عشتارت والتي استوطنت في مصر ، وبوجه خاص في عصر الرعامسة حيث صوروا معا[٤٥].

٣- قصة الاستيلاء على يافا :

كتبت هذه القصة في عصر الرعامسة [٤٦] ، وتحكي عن حيلة للقائد جحوتي ، قائد الملك تحتمس الثالث ؛ وذلك من أجل الاستيلاء على يافا ؛ حيث أوهم أميرها أنه يريد الصلح معه وخيانة سيده ، وعندما جاء أمير يافا إلى القائد المصري في معسكره ، تمكن القائد المصري من التغلب عليه ، وأراد دخول مدينته للاستيلاء عليها ، فأمر بتقييد يديه ورجليه ، وقد تم وضع مائتي جندي من أشجع الجنود ومعهم أسلحتهم وقيود كثيرة في غرارت ، ثم أغلقوا تلك الغرارات ، واختار خمسمائة جندي لحملها ، ثم قيل لسائق عربة الأمير الفلسطيني إن سيده يقول له : " اذهب وأخبر سيدتك افرحي ؛ لأن الرب ست قد أسلم إلينا جحوتي وزوجه وأطفاله ، وأن تلك الغرارات هي الجزية التي قدمها " . وبهذه الحيلة يتمكن القائد المصري من الاستيلاء على يافا.

من بين المعبودات التي ذكرت في هذه القصة المعبود ست ذلك المعبود المصري ؛ فلكي يقول السائق لسيدته إن ست هو الذي أسلم إلينا جحوتي وزوجه وأطفاله ؛ ولكي تصدقه لابد وأنه كان له شأن في مدينتهم . لقد كان ست ربا للحرب والصواعق والرعد ، ونظرا لتداخل صفاته هذه مع صفات المعبود الأوجاريتي السوري بعل ؛ فقد اعتبر ست سيدا للبلاد الأجنبية خاصة في عصر الرعامسة ، بل وتمت المساواة بينه وبين ذلك المعبود السوري بعل والذي كان من أعظم المعبودات السورية التي عبدت في مصر ، وكان له كهنة في عصر الأسرة الثامنة عشرة [٤٧] . يباهي الملك رمسيس الثاني في نقوش انتصاراته بأنه كان عندما أخذ أهبته للقتال ، وامتطى عربته وخرج للهجوم على مشاة الحيثيين ، بأنه كان مثل بعر (بعل) [٤٨] . لقد تداخلت

---

[٤٣] راجع عن هذه القصة : A. Gardiner , Notes on the Story of Sinuhe , Paris 1916 ; H. Grapow , Untersuchungen zur Ägyptischen Stilistik , I , Der stilistische Bau der Geschichte des Sinuhe , Berlin 1952 ; R. Koch , Die Erzählung des Sinuhe , 1990 .

[44] H. Sternberg , in : LÄ V , 325 f.

[45] R. Stadelmann , op. cit. , 101ff. ; H. Sternberg , op. cit., 327.

[٤٦] راجع عن القصة على سبيل المثال : T.E. Peet , in : JEA 11, 1925 , 226 ; A. Gardiner , Late Egyptian Stories , 1932 , 82 ff. ;E. F. Wente , in : W. K. Simpson , op. cit. , 81ff . , A Erman , op. cit. , 217 ff. ؛ سليم حسن ، المرجع السابق ، ص١٢٠- ١٢١ .

[47] H. te Velde , Seth , god of confusion , Leiden 1967 , 109 ff.

[٤٨] علي فهمي خشيم ، آلهة مصر العربية ، المجلد الأول ، مصراته ١٩٩٠ ، ص٢٨٣ .

صفاتهما معا حتى أن اسم بعل كان يكتب في لغة العصر المتأخر بالمخصص المعروف للمعبود ست [٤٩] . وكانت لست كذلك علاقة مع الربتين السوريتين عنات وعشتارت [٥٠] .

٤ـ قصة الأخوين :[٥١]

بعدما أوعزت زوجة انبو إليه أن أخاه باتا حاول مراودتها عن نفسها ، أراد انبو قتل أخيه ؛ ففر هاربا من مصر حتى وصل إلى وادي الأرز في لبنان ، وهناك عاش وحيدا ، وشيد لنفسه قصرا ، وذات يوم خرج من قصره ، فقابله تاسوع الأرباب وهم يسيرون في طريقهم للإشراف على الأرض كلها.

هكذا فعلى الرغم من أن أحداث هذه القصة تقع على أرض لبنان ، إلا أننا نجد المعبودات المصرية على الأراضي السورية وكأننا على أرض مصر ، فهذا تاسوع الأرباب المصري يظهر وقد حكم تلك المناطق كلها.

---

[49] R. Stadelmann , Syrisch- Palästinensische Gottheiten , 125 ; id. , in : LÄ I , 590 f. ; G. Hart , op. cit. , 50.

[٥٠] H. te Velde , in: LÄ V , 908 ff. ; انظر أعلى : قصة المخاصمة بين حور وست .

[٥١] راجع عن هذه القصة : سليم حسن ، المرجع السابق ، ص ٩٧ـ ١٠٩ ؛ A. Gardiner , op. cit. , 9 ff. ; E. F. Wente , op. cit. , 92 ff. .

٥- قصة قدر الأمير :[٥٢]

تقص هذه القصة أن أحد الملوك لم يولد له ولد ذكر ، فدعا الأرباب ، فوهبوه ولدا، وعند ولادته قررت الحتحورات السبع مصيره بأنــه سيموت عن طريق تمساح ، أو حية ، أو كلب ، فخاف عليه والده ؛ فشيد له بيتا في الصحراء ، وعندما كبر الصبي ، أراد الخروج ، فخرج ومشى حتى وصل إلى نهارينا [٥٣] ، وكان ملكها ليس له من الأولاد إلا ابنة واحدة ، فأقام لها بيتا ترتفع شرفته عن الأرض بحوالي ست وخمسين ذراعا . وكان هذا الملك قد أرسل إلى كل أولاد رؤساء خارو[٥٤] وقال لهم : " إن من يستطيع أن يصل إلى شرفة ابنتي سيأخذها زوجة له".وبعدما حل عليهم الشاب المصري ورأى ما يصنعون يتمكن من الوصول إلى شرفتها ، إلا أن أبيها يرفض أن يزوجها له . وعندما أراد رجاله إبعاده عن المكان ، أمسكت الفتاة به وحلفت قائلة : " بحياة رع حورأختي إذا أخذتموه بعيدا عني ؛ فلن آكل ، ولن أشرب ، وسأموت في الحال " ، ثم أخبروا والدها بما قالت ، فأرسل أناسا ليقتلوه في الحال ، إلا أن ابنته حلفت مرة أحرى وقالت : " بحياة رع إذا قتلتموه ، فإنني عند مغيب الشمس سأكون ميتة ، ولن أعيش بعده ساعة واحدة " . وفي النهاية يضطر والدها تزويجها له .

في هذه القصة نجد الترابط الديني من خلال رع حورأختي والذي تحلف به ابنة حاكم نهارينا ، والذي بسبب هذا الحلف ، واحتراما لرع حورأختي ، لم يستطع هذا الحاكم أن يجبر ابنته على عدم الزواج من الشاب المصري ؛ وذلك مما يدل على عظم شأن مكانة رع حورأختي في هذه المنطقة وذلك لكي تحلف به ابنة حاكمها .

---

[٥٢] راجع عن القصة : سليم حسن ، المرجع السابق ، ص ١١٠-١١٥ ؛ E.F. Wente , op. cit. 85 ff. ; M. Lichtheim , Ancient Egyptian Literature , II , London 1976 , 200 ff. ; E. Brunner-Traut , in : LÄ IV , 1107 ff.

[٥٣] هي مملكة ميتاني ، وقد أطلق عليها المصريون نهارينا لوقوع بلادهم على نهري الخابور والفرات ، أي أرض النهرين ، انظر أحمدارحيم هبو ، المرجع السابق ، ص١١٨ ؛ M. Lichtheim , op. cit. 203 , note 2 ; B. Redford , in : LÄ IV , 149 .

[٥٤] هي سورية انظر : M. Lichtheim , op. cit. , 203 (note 3) ; Wb III , 232 .

٦- قصة ون آمون :[٥٥]

تحكي هذه القصة – والتي حدثت أحداثها في عصر الأسرة الحادية والعشرين - عن رحلة قام بها أحد كهنة آمون في طيبة وهو " ون آمون " إلى جبيل ؛ وذلك من أجل إحضار خشب الأرز اللازم لعمل سفينة لآمون رع ، وعندما وصل إلى جبيل ، ونظرا لتغير الظروف السياسية لمصر في هذه الفترة ؛ فقد ظل على الشاطئ فترة طويلة ، وقد حاول زاكار بعل أمير جبيل إبعاده ، إلا أنه في النهاية يدور بينهما حديث طويل بخصوص المهمة التي جاء من أجلها ون آمون ، ويساوم زاكار بعل المبعوث المصري كثيرا . ويذكر ون آمون أمير جبيل بالمكانة العظيمة التي كانت لآمون في بلاده قائلا : " ليس هناك سفينة على النهر لا تخص آمون ، فالبحر له ، ولبنان التي تقول عنها : " أنها ملكي" ؛ لأنها مزرعة لآمون وسرحات سيدة كل السفن " " وأنت تقف الآن وتريد أن تساوم عن لبنان مع ربها آمون " " أما آمون ملك الأرباب ؛ فهو سيد الحياة والصحة ، وقد كان سيدا لآبائك ، وقد قضوا حياتهم يقدمون القرابين لآمون ، وأنت كذلك خادم لآمون ".

أما زاكار بعل فرغم مساوماته الكثيرة ، إلا أنه يعترف بسيادة آمون العالمية ؛ حيث يقول " انظر ، إن آمون يرعد في السماء ويجعل ست (يرعد) لوقته [٥٦] ، حقا إن آمون قد أوجد البلاد كلها ، وقد أوجدهم بعدما أوجد أرض مصر أولا التي أتيت منها؛ لأن دقة الحرف قد جاءت منها ؛ لكي تصل إلى مقري ، وكذلك أتى العلم منها إلى حيث أقيم ".

ومما يدل على المكانة التي كان يتمتع بها آمون في أرض سورية قبل هذا الوقت ، أنه كانت له معابد وعبادة في الدولة الحديثة ، حتى أن الملك رمسيس الثالث شيد له معبدا كان يقدم له الرتنو قرابينهم فيه [٥٧] . ولكن ما حدث في مصر نفسها من تدهور الأوضاع في تلك الفترة أدى إلى ذلك الوضع الذي آل إليه حال آمون وكما يظهر في هذه القصة.

وخلاصة القول ، فإنه ومن خلال العرض السابق يتضح لنا أن الصلات الدينية التي كانت قائمة بين مصر وسورية في واقع الأمر ، قد وجدت طريقها إلى القصص المصري القديم ، فمن ناحية وجدنا الترابط الديني في تشابه الموضوع الديني الذي تتناوله بعض القصص المصرية والسورية ، ومن ناحية ثانية ظهرت المعبودات السورية في متن القصة المصرية وهي متصلة بصلات نسب مع المعبودات المصرية، ومن ناحية ثالثة وجدنا المعبودات المصرية وهي مرتبطة بالأراضي السورية وأهلها.

---

[٥٥] انظر عنها : ألن جاردنر ، مصر الفراعنة ، مترجم بالقاهرة (١٩٧٣) ، ص٣٣٦ - ٣٤٣ ؛ سليم حسن ، المرجع السابق ، ص١٧١ - ١٨٠ ؛ أحمد فخري ، المرجع السابق ، ص ٤٠٢ - ٤٠٦ ؛ H. Goedicke , The Report of Wenamun , 1975 ; E.F. Wente , op. cit. , 142 ff. ; W. Helck ,in : LÄ VI , 1215 ff. ; M. Lichtheim , op. cit. , 224 ff. .

[٥٦] إن ست مماثل للمعبود السوري بعل الخاص بالرعد والعواصف ، ولكن الرعد هنا متصل بآمون وهو الذي يجعل ست يرعد في وقت محدد ، وهذه العبارة ذات أهمية قصوى حيث يعترف زاكار بعل أمير جبيل بسيادة آمون العالمية ، H. Goedicke , op. cit. , 83 .

[٥٧] أدولف ارمان ، المرجع السابق ، ص ٣٨٨-٣٨٩ ؛ R. Stadelmann , in : LÄ II , 631 ; Urk. IV , 1443 , 20 ; E. Otto , in : LÄ I , 241.